KNM-BSA
Konferensi Nasional Mahasiswa
Bahasa dan Sastra Arab – 2026

تحليل الاستلزام الحواري في القصة القصيرة «زعبلاوي» لنجيب محفوظ: دراسة تداولية في ضوء نظرية غرايس

رفيفة نجلة فوتري[١]✉ ، نصرالدين[٢]، مروان أحمد توفيق[٣]

قسم اللغة العربية وأدبها، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة سونان أمبيل الاسلامية الحكومية سورابايا[١٢٣]

✉ rafifanajla11@gmail.com

الملخص

الاستلزام الحواري معنى ضمني ينشأ حين يخرق المتكلم خرقًا ظاهرًا إحدى قواعد مبدأ التعاون عند غرايس (١٩٧٥)، وهي الكم والكيف والعلاقة والطريقة. وهذه الظاهرة كثيرة في النصوص الأدبية، ومنها قصة «زعبلاوي» القصيرة لنجيب محفوظ، وفيها يبحث الراوي عن شيخ يُدعى زعبلاوي، ويسأل عنه شخصيات عدة تأتي أجوبتها في الغالب غير مباشرة. وتهدف الدراسة إلى بيان أنواع خرق القواعد التخاطبية في حوارات القصة والاستلزامات الناتجة عنه. واتبعت المنهج الوصفي الكيفي بتقنية القراءة والتدوين، فصنّفت ستة وثلاثين قولًا لتسع شخصيات بحسب قواعد غرايس الأربع. وأظهرت النتائج أن منها اثنين وعشرين قولًا خارقًا للقواعد، وأربعة أقوال انسحب فيها المتكلم من التعاون، وعشرة أقوال متعاونة. وجاء خرق قاعدة العلاقة في المقدمة (٨ أقوال)، ثم الكم (٦)، ثم الكيف والطريقة (٤ لكل منهما). وتوزعت الاستلزامات الناتجة عن الأقوال الخارقة على خمس فئات: المعنى الرمزي والروحي (١٠ أقوال)، وعدم العلم بالمكان (٤)، وعدم انتظام الظهور (٤)، والتحفظ والإعراض (٣)، والاشتراط والتهيؤ للتلقي (١). وخلصت الدراسة إلى أن الخرق لا يقطع التواصل، وإنما يسهم في بناء رحلة البحث ويشير إلى أن الوصول إلى زعبلاوي لا يتحقق بالسؤال وحده. ويُرجى أن تثري الدراسة الدراسات التداولية في الأدب العربي.

الكلمات المفتاحية: الاستلزام الحواري؛ التداولية؛ غرايس؛ القصة القصيرة العربية؛ زعبلاوي

Abstrak

Implikatur percakapan adalah makna tersirat yang muncul ketika penutur melanggar secara terang-terangan salah satu maksim Prinsip Kerja Sama Grice (1975), yakni kuantitas, kualitas, relasi, dan cara. Gejala ini banyak ditemukan dalam karya sastra, termasuk cerpen Za'balawi karya Najib Mahfuz, yang menceritakan narator mencari seorang syekh bernama Za'balawi dan menanyakannya kepada sejumlah tokoh yang jawabannya umumnya tidak langsung. Penelitian ini bertujuan menjelaskan jenis pelanggaran maksim dalam dialog cerpen tersebut dan implikatur yang dihasilkannya. Metode yang

dipakai adalah deskriptif kualitatif dengan teknik baca-catat; 36 tuturan dari sembilan tokoh diklasifikasikan menurut empat maksim Grice. Hasilnya menunjukkan bahwa 22 tuturan melanggar maksim, 4 tuturan menarik diri dari kerja sama, dan 10 tuturan bersifat kooperatif. Pelanggaran maksim relasi menempati urutan pertama (8 tuturan), disusul kuantitas (6), lalu kualitas dan cara (masing-masing 4). Implikatur yang dihasilkan tuturan yang melanggar terbagi dalam lima kategori: makna simbolis dan spiritual (10 tuturan), ketidaktahuan akan tempat (4), ketidakteraturan kemunculan (4), keengganan dan penolakan membahas (3), serta persyaratan dan kesiapan untuk bertemu (1). Penelitian ini menyimpulkan bahwa pelanggaran tersebut tidak memutus komunikasi, tetapi membangun perjalanan pencarian dan mengisyaratkan bahwa Za'balawi tidak dicapai lewat pertanyaan saja. Penelitian ini diharapkan memperkaya kajian pragmatik sastra Arab, khususnya dalam memahami bagaimana makna tersirat membentuk struktur naratif dan tema pencarian spiritual dalam karya Najib Mahfuz.

Kata kunci: implikatur; pragmatik; Grice; cerpen Arab; Za'balawi

المقدمة

كثيرًا ما يريد المتكلم أكثر مما تقوله عباراته، ويترك للسامع أن يستخلص المعنى الذي لم يصرَّح به. ومن هذه الملاحظة بدأ غرايس (Grice, 1975) حين فرّق بين ما يُقال وما يُراد، وافترض أن المتحاورين يشاركون في الحديث، من حيث الأصل، بما يلائم غرضه والوجهة التي اتفقوا عليها، وأطلق على هذا الافتراض «مبدأ التعاون» (ص ٤٥). ويشتمل المبدأ على أربع فئات من القواعد: قاعدة الكم، ومؤداها أن تفيد المشاركة بقدر حاجة الغرض دون زيادة؛ وقاعدة الكيف، ومؤداها ألا يقول المتكلم ما يعتقد كذبه أو ما لا يملك عليه دليلًا كافيًا؛ وقاعدة العلاقة، ومؤداها أن يتصل الكلام بموضوع الحديث؛ وقاعدة الطريقة، ومؤداها وضوح العبارة وخلوها من اللبس مع الإيجاز وحسن الترتيب (صص ٤٥–٤٦).

ولا يلتزم المتكلم بهذه القواعد في كل حال، فقد ذكر غرايس وجوهًا عدة للإخلال بها: فقد ينتهك المتكلم القاعدة خفيةً فيضلّل السامع، وقد ينسحب من التعاون صراحةً حين يعلن أنه لا يريده، وقد يجد نفسه بين قاعدتين متعارضتين، وقد يخرق القاعدة خرقًا ظاهرًا (flouting) (Grice, 1975, ص ٤٩). وفي هذه الحالة الأخيرة، إذا كان المتكلم قادرًا على الالتزام بالقاعدة ولم يقصد التضليل، سأل السامع نفسه كيف يجمع بين ما سمعه وبين ظنه أن محدّثه ما زال متعاونًا؟ وجواب هذا السؤال هو الاستلزام الحواري (صص ٤٩–٥٠). وعلى هذا الأساس يقوم الإطار النظري لهذه الدراسة، وفيه نفرّق بين الخرق الظاهر الذي ينشأ عنه الاستلزام، والانسحاب الذي يعلن فيه المتكلم أنه لا يرغب في التعاون، ولذلك لا نعدّ الأقوال المنسحبة استلزامات. والحوار في النص الأدبي ميدان صالح لهذا الإطار، لأن الكاتب يودع فيه مقاصد شخصياته المضمرة ويكل إلى القارئ تأويلها.

وقد استُعملت نظرية غرايس في تحليل الحوار في الأدب العربي، ومن ذلك دراسة ياسين وحرفوش (Yaseen & Harfosh, 2024) لمقاطع حوارية من «الرواية المستحيلة» لغادة السمان في ضوء مبدأ التعاون وقواعده الأربع، وقد خلصت إلى أن خرق هذه القواعد يُثري الحوار بالمضمرات التداولية. وتناول جبار (Jabbar, 2022) الاستلزام الحواري في مسرحيات نجيب محفوظ ذات الفصل الواحد، وبيّن أن كثيرًا من النصوص الحوارية فيها ينتهك إحدى قواعد مبدأ التعاون. وفي مجال الدراسات الإندونيسية للعربية فحص Nariyati وMunjiah (٢٠٢٦) خروج المتحدثين عن قواعد غرايس في مقابلات سياسية عربية، وأشارا إلى أن تطبيق النظرية على العربية ينبغي أن يراعي أعراف الخطاب العربي وبلاغته، فلا يُختزل الخرق في غياب التعاون. وتدل هذه الدراسات على أن النظرية طُبّقت على الخطاب العربي في الرواية والمسرحية والمقابلة.

ويأتي هذا البحث ليطبّق النظرية على جنس أدبي آخر هو القصة القصيرة، ومادته «زعبلاوي» لنجيب محفوظ، من مجموعة «دنيا الله» الصادرة عام ١٩٦٣ (Mahfouz, 1963/2023). وهي من أشهر قصصه القصيرة، حتى أُدرجت في Norton Anthology of World Literature (Sutanto et al., 2017, ص ٦٩). تبدأ القصة بعزم الراوي على العثور على الشيخ زعبلاوي، وهو وليّ سمع اسمه في طفولته، وقد وصفه أبوه بأنه وليّ صادق يزيل الهموم والمتاعب (ص ٨٣)، ثم أصيب الراوي بداء لا يجد له دواءً عند أحد فخطر له أن يبحث عنه (ص ٨٣). وتتتابع بعد ذلك اللقاءات: الشيخ قمر (صص ٨٣–٨٤)، وبائع الكتب القديمة في ربع البرجاوي (ص ٨٤)، وشيخ الحارة (ص ٨٥)، وعمّ حسنين الخطاط (ص ٨٦)، والشيخ جاد الموسيقار (صص ٨٦–٨٨)، والحاج ونس الدمنهوري في حانة النجمة (صص ٨٨–٩٠). وقد ذكر Elad (١٩٩٤)، كما نقل عنه Sutanto وآخرون (Sutanto et al., 2017, صص ٦٩–٧٠)، أن رحلة البحث تمر بست محطات. وفي كل لقاء يعيد الراوي سؤاله عن زعبلاوي أو عن مكانه، فتتباين الأجوبة، وتقوم بنية القصة بذلك على تبادلات حوارية متلاحقة.

وفي هذه التبادلات يظهر الخرق الذي وصفناه، ومن أمثلته ما قاله بائع الكتب القديمة حين سأله الراوي عن زعبلاوي، إذ تذكّر أيامه في الربع ثم ختم بسؤال: «ولكن أين زعبلاوي اليوم؟!» (Mahfouz, 1963/2023, ص ٨٤)، فلم يجب عما سُئل عنه. وحين سأل الراوي الشيخ جاد: «لم كان كذلك؟» ردّ عليه: «هكذا الأولياء؛ وإلا ما كانوا أولياء!» (ص ٨٧). وقال الحاج ونس للراوي في أول لقاء: «تفضل بالجلوس أولًا، واسكر ثانيًا!» (ص ٨٨). وتُذكر هذه الأمثلة لتصوير الظاهرة وحسب، وتحليلها في قسم النتائج.

ومع أن هذه الأجوبة تستدعي قراءة تداولية، فقد اتجهت الدراسات السابقة إلى قراءة القصة من زوايا موضوعاتية. فقرأها Pellegrino (٢٠٠٨) قراءةً صوفية، ورأى في بحث الراوي في أرجاء القاهرة حركة نحو الزمن الخالد أو «الآن الأبدي»، وفي مشهد الحانة تمثيلًا لفقدان الذات. وقرأها Sutanto وآخرون (Sutanto et al., 2017) قراءةً وجودية واجتماعية، فذهبوا إلى أنها تؤكد التمسك بالأمل مع استمرار المأساة الإنسانية (صص ٦٩–٧٠)، وأن شخصيات الرحلة ترمز إلى عالم التقاليد أو عالم الحداثة (صص ٦٩–٧٠)، ولاحظوا أن محفوظًا يوظف تيار الوعي والحوار والمونولوج الداخلي للكشف عن عالم البطل الداخلي (ص ٦٩).

ويتبيّن مما سبق أن الدراسات التي اطّلعنا عليها عن «زعبلاوي» انصرفت إلى البعد الصوفي والوجودي والاجتماعي، ولم نقف بينها على دراسة تحلل حواراتها تداوليًا في ضوء مبدأ التعاون، مع أن بنية القصة قائمة على سلسلة من الأسئلة

والأجوبة. وأقرب الدراسات التداولية التي اطّلعنا عليها إلى أدب محفوظ دراسة جبار (Jabbar, 2022) عن مسرحياته، وقد نبّه صاحبها إلى قلة الدراسات التداولية في منجز محفوظ (ص ٢٠٦).

ومن هنا تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن سؤالين: ما أنواع خرق قواعد مبدأ التعاون (الكم والكيف والعلاقة والطريقة) في حوارات الراوي مع الشخصيات في قصة «زعبلاوي»؟ وما الاستلزامات الحوارية التي تنتج عن هذا الخرق، وكيف تسهم في بناء رحلة البحث ودلالتها؟ وتنطلق الدراسة في ذلك من أن الخرق الظاهر لا يعني ترك مبدأ التعاون، وإنما هو طريق لإنتاج المعنى (Grice, 1975, ص ٤٩). وتكمن جدّتها في نقل التحليل التداولي إلى قصة قصيرة بنيتها حوارية متكررة، وفي الربط بين المعنى الضمني في الحوار وموضوع البحث الروحي في القصة، فتسهم الدراسة بذلك في الدراسات التداولية للأدب العربي.

المنهج

يُعدّ هذا البحث بحثًا نوعيًا وصفيًا يحلل نصًا أدبيًا تحليلًا تداوليًا، ويستعين بإحصاء بسيط لتوزيع الظواهر المدروسة، من غير أن يزعم تعميمًا إحصائيًا على نصوص أخرى. ويعتمد نظرية الاستلزام الحواري عند غرايس (Grice, 1975)، على النحو الذي عُرض في المقدمة، أداةً للتصنيف والتحليل.

مصدر البيانات

مصدر البيانات هو القصة القصيرة «زعبلاوي» من مجموعة «دنيا الله» لنجيب محفوظ، في طبعة مؤسسة هنداوي الصادرة عام ٢٠٢٣ (Mahfouz, 1963/2023, صص ٨٣–٩١). وبيانات البحث هي أقوال الشخصيات التي سألها الراوي عن زعبلاوي أو عن مكانه أو طلب عونها في الوصول إليه، مما ورد في القصة كلامًا مباشرًا. وهذه الشخصيات تسع: والد الراوي، وبائع الفول، والشيخ قمر، وبائع الكتب القديمة، وشيخ الحارة، والكواء، وعمّ حسنين الخطاط، والشيخ جاد، والحاج ونس الدمنهوري. أما ما جاء مرويًّا بالأسلوب غير المباشر، كأقوال أصحاب الدكاكين في ربع البرجاوي (صص ٨٤–٨٥) وما أخبر به بائع الترمس (ص ٨٦)، فلم يدخل في الإحصاء، واستُعين به لفهم السياق فقط.

طريقة جمع البيانات

اتبعنا تقنية القراءة والتدوين وفق الخطوات الآتية. قرأنا القصة كاملةً لفهم مسارها العام، ثم أعدنا قراءتها لتحديد المواضع التي يسأل فيها الراوي عن زعبلاوي أو عن مكانه أو يطلب العون، ودوّنّا جواب الشخصية كما ورد في النص مع رقم الصفحة. ثم راجعنا كل شاهد مدوَّن مع النص الأصلي للتحقق من سلامة النقل ورقم الصفحة.

طريقة تحليل البيانات

صُنّف كل قول بحسب علاقته بمبدأ التعاون وقواعده الأربع عند غرايس (Grice, 1975, صص ٤٥–٤٦). فإما أن يكون قولًا متعاونًا يلتزم القواعد، أو قولًا خرق فيه المتكلم إحدى القواعد خرقًا ظاهرًا مع قدرته على الالتزام بها، أو قولًا أعلن فيه المتكلم عدم رغبته في التعاون، وهو ما يسميه غرايس «الانسحاب» (opting out) (ص ٤٩). فإذا تعددت القواعد المخروقة في القول الواحد سُجّلت القاعدة الأظهر قاعدةً رئيسة، وذُكرت الأخرى قاعدةً ثانوية. ثم استُخرج الاستلزام

بالاستناد إلى شروطه عند غرايس (صص ٤٩–٥٠): أن يُفترض في المتكلم أنه ملتزم بمبدأ التعاون، وأن ما يُستنتج هو ما يلزم لتوفيق قوله مع هذا الافتراض، وأن المتكلم يتوقع من السامع أن يكون قادرًا على إدراكه. واستعنّا في ذلك بسياق القصة، ومنه وصف الراوي لنبرة المتكلم وملامحه ولرد فعله هو. وأخيرًا حُسب تكرار كل فئة، وعُرض توزيعها على محطات الرحلة.

واعتُمدت في التصنيف معايير إجرائية. فعُدّ القول خارقًا للكم إذا جاء أقل من المطلوب جوابًا عن السؤال أو أكثر منه على نحو لافت؛ وخارقًا للكيف إذا تضمن تأكيدًا بلا دليل، أو عبارة يناقض ظاهرها نفسه، أو استعارة لا تُحمل على حرفيتها؛ وخارقًا للعلاقة إذا صرف الجواب الحديث عن موضوع السؤال إلى موضوع آخر؛ وخارقًا للطريقة إذا اتسم بالغموض أو اللبس أو الإحالة غير الواضحة. وعُدّ القول متعاونًا إذا أجاب عن المطلوب بقدر مناسب وبعبارة واضحة، ولو اقترن بما يدل على حدود علم المتكلم.

وقُصر استخراج الاستلزامات وإحصاؤها على الأقوال الخارقة، لأن الخرق الظاهر هو الشرط الذي اعتمدناه لنشوء الاستلزام في هذا البحث. أما الأقوال المنسحبة فتُعرض على حدة، لأن المتكلم يعلن فيها موقفه صراحةً ولا يترك السامع يستنتجه، وأما الأقوال المتعاونة فلا خرق فيها. وهذا اختيار منهجي منا في تطبيق التمييز الذي أورده غرايس بين وجوه عدم الالتزام بالقاعدة (ص ٤٩)، وليس حكمًا قاله غرايس نفسه في الأقوال المنسحبة.

حدود التحليل

التصنيف عمل تأويلي قامت به باحثة واحدة، وبعض الأقوال تحتمل أكثر من تصنيف. ولذلك يُقرأ التوزيع العددي في هذا البحث بوصفه مؤشرًا إلى الاتجاه العام لا قياسًا دقيقًا، وسنعود إلى هذه المسألة في المناقشة.

النتائج

بعد قراءة القصة وتدوين أجوبة الشخصيات التسع، اجتمع ستة وثلاثون قولًا صالحًا للتحليل. منها عشرة أقوال متعاونة، وأربعة أقوال أعلن فيها المتكلم انسحابه من التعاون، واثنان وعشرون قولًا خُرقت فيها إحدى قواعد مبدأ التعاون خرقًا ظاهرًا. ويبيّن الجدول (١) توزيع هذه الأقوال الأخيرة بحسب القاعدة الرئيسة المخروقة.

الجدول (١): توزيع الأقوال الخارقة لمبدأ التعاون بحسب القاعدة الرئيسة

القاعدة المخروقة (الرئيسة)	عدد الأقوال	النسبة من الأقوال الخارقة
العلاقة	٨	٣٦٫٤٪
الكم	٦	٢٧٫٣٪
الكيف	٤	١٨٫٢٪
الطريقة	٤	١٨٫٢٪
المجموع	**٢٢**	**١٠٠٪**

المصدر: تصنيف الباحثة لحوارات قصة «زعبلاوي» (صص ٨٣–٩١).

يتبيّن من الجدول أن خرق قاعدة العلاقة جاء في المرتبة الأولى (٨ أقوال، أي نحو ٣٦٪ من الأقوال الخارقة)، يليه خرق قاعدة الكم (٦ أقوال)، ثم خرق قاعدتي الكيف والطريقة بأربعة أقوال لكل منهما. لكن هذا التقدم ينبغي أن يؤخذ بحذر، لأن الفارق بين العلاقة والكم قولان فقط، ولأن بعض الأقوال تحتمل تصنيفًا آخر، كما سيأتي في المناقشة. ويعرض الجدول (٢) توزيع الأقوال على الشخصيات بحسب ترتيب ظهورها في الرحلة. وقد احتفظت الباحثة بقائمة الأقوال الستة والثلاثين كاملةً بنصها وصفحتها وتصنيفها، وتُقدَّم عند الطلب.

الجدول (٢): توزيع الأقوال على الشخصيات بحسب ترتيبها في الرحلة

الشخصية	الصفحة	الكم	الكيف	العلاقة	الطريقة	الانسحاب	متعاون	المجموع
والد الراوي	٨٣	–	–	–	–	–	١	١
بائع الفول	٨٣	–	–	–	–	–	١	١
الشيخ قمر	٨٤	٢	–	–	–	–	١	٣
بائع الكتب القديمة	٨٤	–	–	١	–	–	–	١
شيخ الحارة	٨٥	–	–	٢	١	–	–	٣
الكواء	٨٥	–	–	–	–	–	١	١
عمّ حسنين الخطاط	٨٦	١	١	١	١	–	–	٤
الشيخ جاد	٨٧–٨٨	١	٣	٢	١	١	١	٩
الحاج ونس الدمنهوري	٨٨–٩٠	٢	–	٢	١	٣	٥	١٣
المجموع		٦	٤	٨	٤	٤	١٠	٣٦

المصدر: تصنيف الباحثة. الأرقام عدد الأقوال، والشرطة (–) تعني عدم وجود قول من هذه الفئة.

مثال تطبيقي على استخراج الاستلزام

نأخذ جواب الشيخ جاد مثالًا على خطوات التحليل. سأله الراوي: «لم كان كذلك؟» طالبًا سبب غياب زعبلاوي المتقطع، وكان الجواب المنتظر سببًا. فتناول الشيخ عوده «وهو يضحك» وقال: «هكذا الأولياء؛ وإلا ما كانوا أولياء!» (ص ٨٧). وهذه العبارة لا تقدم سببًا، لأنها تقول في جوهرها إن الأولياء أولياء، فهي خرق ظاهر لقاعدة الكم الأولى. ولا يظهر أن الشيخ ينسحب من الحوار، فهو يضحك ويواصل الكلام عن زعبلاوي في الأقوال التالية، فيُفترض أنه ما زال متعاونًا. وللتوفيق بين هذا الافتراض وبين عبارته لا بد أن يكون مقصوده أن الغياب المتقطع من طبيعة الولاية نفسها، وأن السؤال عن علته لا ينتظر جوابًا غير هذا. والشيخ يتوقع من الراوي أن يكون قادرًا على هذا الاستنتاج، وهو الشرط الثالث عند غرايس (صص ٤٩–٥٠). وعلى هذا النحو حُلّلت بقية الأقوال.

نماذج من كل نوع

ويعرض الجدول (٣) نموذجًا واحدًا من كل نوع من الأنواع الستة، ثم تتناول الأقسام التالية كل نوع بمزيد من الأمثلة والتحليل.

الجدول (٣): نموذج من كل نوع من أنواع الأقوال

النوع	القول	القائل (الصفحة)	الاستلزام أو الدلالة
خرق العلاقة	«ولكن أين زعبلاوي اليوم؟!»	بائع الكتب القديمة (٨٤)	لا يعرف مكانه، وغيابه حسرة عنده
خرق الكم	«هكذا الأولياء؛ وإلا ما كانوا أولياء!»	الشيخ جاد (٨٧)	الغياب من طبيعة الولاية نفسها
خرق الكيف	«هذا العذاب من ضمن العلاج!»	الشيخ جاد (٨٧)	مشقة البحث جزء من الشفاء
خرق الطريقة	«كان يا ما كان، الرجل اللغز!»	عمّ حسنين (٨٦)	أقرب إلى الأسطورة واللغز منه إلى شخص يُعرف مكانه
الانسحاب	«لن أصغي لك حتى تسكر!»	الحاج ونس (٨٩)	موقف معلن: الحوار مشروط بالسُّكر (وليس استلزامًا)
التعاون	«مدى علمي أنه كان يقيم بربع البرجاوي بالأزهر»	الشيخ قمر (٨٤)	لا استلزام: التزام بقاعدة الكيف ببيان حدود العلم

المصدر: تصنيف الباحثة. الأرقام بين الأقواس صفحات القصة في (Mahfouz, 1963/2023).

خرق قاعدة العلاقة

تتلخص قاعدة العلاقة عند غرايس في أن يكون الكلام مناسبًا لموضوع الحديث (Grice, 1975, ص ٤٦). وأوضح مواضع خرقه في القصة أن الراوي يسأل عن مكان زعبلاوي، فيُجاب بكلام عن زمانه أو عن صفاته أو عن حال المتكلم نفسه.

وإلى جانب نموذج الجدول (٣)، وهو قول بائع الكتب القديمة، جاءت سبعة أقوال أخرى نعرض أبرزها.

وعند شيخ الحارة جاء الخرق في موضعين. فحين قال له الراوي: «حتى أنت لا تستطيع أن تجده!» أجابه بسؤال تعجب هو «حتى أنا؟!»، ثم صرف الكلام إلى شكر الله على أن زعبلاوي ما زال حيًّا بقوله: «احمد ربنا على أنه ما زال حيًّا» (ص ٨٥). وبعد أن عرف شدة حال الراوي قال له: «لكن لم لا تستعين بالعقل؟» (ص ٨٥). وهذا القول لا صلة له بالسؤال عن المكان، ويستلزم أن الطريق إلى الشيخ ليس طريق العقل المعتاد، وأن في طلب ولي لشفاء مرض ما يدعو المتكلم إلى التساؤل. ومع ذلك رسم له خريطة للحي، فكان الجمع بين النصيحة والعون معًا.

وأما الشيخ جاد فقال له الراوي: «إذن ضاعت زيارتي سدى!»، فأجابه: «الله يسامحك، أيقال هذا عن زيارة عرفتني بك وعرفتك بي؟!» (ص ٨٧). فالجواب لا يتناول إمكان الوصول إلى زعبلاوي، وإنما يتناول قيمة اللقاء نفسه، ويُفهم منه أن الزيارة لم تضِع، لأن زعبلاوي يظهر أثره فيمن يعرفونه ويعرّف بعضهم ببعض.

وأما الحاج ونس فسأله الراوي بعد أن استيقظ: «أرآني أحد على هذه الحال؟!»، فقال له: «لا تغتم، إنه رجل طيب، ألم تسمع عن الشيخ زعبلاوي؟» (ص ٩٠). فانتقل من الجواب عن سؤال الراوي إلى سؤاله عن زعبلاوي، ويُستلزم من ذلك أن الذي رآه هو زعبلاوي نفسه. وقد أدرك الراوي هذا الاستلزام فورًا، إذ قال: «فانتفضت قائمًا وأنا أهتف: زعبلاوي؟!» (ص ٩٠).

ومن الأقوال الثمانية أيضًا قول عمّ حسنين «وفي وجهه جمال لا يمكن أن يُنسى، ولكن أين هو؟!» (ص ٨٦)، وقول الشيخ جاد «ترى أين أنت يا زعبلاوي؟» في كلام موجّه إلى زعبلاوي الغائب (ص ٨٧)، وقول الحاج ونس «تفضل بالجلوس أولًا،

واسكر ثانيًا!» (ص ٨٨). ويجمع هذه الأقوال الثمانية أنها تنقل الحديث من سؤال «أين» إلى الحديث عن زعبلاوي نفسه، تذكّرًا أو مدحًا أو دعاءً أو نصيحةً أو شرطًا، وأن الاستلزام الناتج عنها يدور حول أن مكانه غير معلوم وأن السؤال عنه بهذه الصيغة لا يوصل إليه.

خرق قاعدة الكم

تقتضي القاعدة الأولى من قواعد الكم أن يكون الكلام مفيدًا بقدر ما يتطلبه غرض الحديث (Grice, 1975, ص ٤٥). وقد جاءت أكثر الأقوال الستة الخارقة لها قاصرةً عن القدر المطلوب.

ومن أمثلتها كلام الشيخ قمر. فحين قال له الراوي إنه يريد زعبلاوي إن كان على قيد الحياة، أجابه «بلهجة من صمم على إنهاء الحديث»: «كان ذلك في الزمان الأول، وما أكاد أذكره اليوم» (ص ٨٤). فلم يُجب عن المسألتين اللتين سُئل عنهما، وهما: أحيّ هو أم لا؟ وأين هو؟ وحين سأله الراوي: «أكان وليًّا حقًّا؟» قال: «كنا نراه معجزة» (ص ٨٤)، فأخبر عن نظرة الناس إليه في الماضي ولم يلتزم بتأكيدها. ويستلزم كلامه أنه لا يريد الخوض في الأمر، وأنه ينأى بنفسه عن اعتقاد قديم. ويؤيد هذا التأويل وصف الراوي له بأنه «أكب على أوراق على مكتبه» بحركة قاطعة تعني أنه لن يتكلم بعد ذلك (ص ٨٤).

ومنها ما قاله عمّ حسنين حين سمع اسم زعبلاوي: «زعبلاوي؟! يا سبحان الله!» (ص ٨٦). وهي عبارة تعجب لا تحمل معلومة، ويُستلزم منها دهشته وتعظيمه أو حيرته، وقد وصفها الراوي بأنها قيلت «بنبرة تنهدية».

ومنها جواب الشيخ جاد عن سؤال الراوي: «لم كان كذلك؟» بقوله: «هكذا الأولياء؛ وإلا ما كانوا أولياء!» (ص ٨٧)، وقد حلّلناه مثالًا تطبيقيًا. وهو من تحصيل الحاصل الذي يشبه التكرار المحض، وقد عدّ غرايس أمثال هذه العبارات خرقًا ظاهرًا لقاعدة الكم الأولى، لأنها غير مفيدة في ظاهرها (Grice, 1975, ص ٥٢).

ومنها جواب الحاج ونس عن أمل الراوي «لعله يأتي غدًا» بقوله: «لعله!» (ص ٩٠)، وهو ترديد لا يؤكد ولا ينفي، ويستلزم أنه لا يعد بشيء. وفي الجانب المقابل أجاب عن سؤال الراوي: «هل يقابلك هنا كل ليلة؟» بما يزيد على المطلوب: «كان معي الليلة، وليلة أمس، وأول أمس»، مع أنه لم يكن قد رآه منذ شهر (ص ٩٠). فبدل أن يقول نعم أو لا ذكر نمطًا يجمع بين الحضور المتصل والغياب الطويل، والاستلزام أن ظهوره غير منتظم ولا يمكن ضبطه بموعد.

خرق قاعدة الكيف

تقتضي قاعدة الكيف أن يكون الكلام صادقًا، وألا يقول المتكلم ما ليس لديه عليه دليل كافٍ (Grice, 1975, ص ٤٦)، ويمكن أن تُخرق هذه القاعدة خرقًا ظاهرًا بالمجاز والمفارقة (ص ٥٣). وقد جاءت الأقوال الأربعة الخارقة لهذه القاعدة كلها عند محطتي الخطاط والموسيقار.

فعمّ حسنين الذي قال قبل قليل «ولكن أين هو اليوم؟»، أجاب عن قول الراوي «لعله ما زال حيًّا!» بيقين تام: «هو حي بلا ريب»، وأضاف أن ذوقه لا يُعلى عليه وأنه صنع بفضله أجمل لوحاته (ص ٨٦). ولم يذكر دليلًا على حياته غير أثره في فنه، والاستلزام أن يقينه نابع من التجربة والإيمان لا من الخبر.

وأما الشيخ جاد فجاء من كلامه ثلاثة أقوال من هذا النوع. أولها قوله «هذا العذاب من ضمن العلاج!» (ص ٨٧)، وهو نموذج الجدول (٣). وثانيها قوله: «ولكن اصبر وثق بأنك ستصل» (ص ٨٧)، وهو تأكيد جازم بلا دليل، ويستلزم أن الأمل

واجب على الباحث. وثالثها جوابه عن سؤال الراوي: «أَلَهُ في الطرب؟» بقوله: «هو الطرب نفسه» (ص ٨٨)، وهو استعارة تجعل زعبلاوي هو الطرب ذاته، ويستلزم أنه ليس شخصًا يُحدَّد مكانه بقدر ما هو حال تظهر في الفن، ويؤكد ذلك ما أضافه: «ما إن تسمعه حتى ترغب في الغناء» (ص ٨٨).

خرق قاعدة الطريقة

تطلب قاعدة الطريقة أن يكون الكلام واضحًا موجزًا مرتبًا، وأن يُتجنب فيه الغموض واللبس (Grice, 1975, ص ٤٦). وقد جاءت أربعة أقوال خارقة له، منها وصف عمّ حسنين لزعبلاوي بأنه «كان يا ما كان، الرجل اللغز!» (ص ٨٦)، وهو نموذج الجدول (٣)، وكل منها يتصل بأن زعبلاوي لا يمكن تحديده تحديدًا قاطعًا.

فشيخ الحارة قال: «ربما صادفته وأنت خارج من هنا على غير ميعاد»، وقال إنه قد تمرّ الأيام والشهور في طلبه بلا جدوى (ص ٨٥)، فجمع بين احتمالين متضادين، ويستلزم أن بلوغ زعبلاوي رهن المصادفة لا المنهج. وفي كلامه نفسه قول آخر هو «فهو حي لم يمت»، يخرق قاعدة الكيف بصورة ثانوية، لأنه سيعترف بعد قليل بقوله «لم أره من سنوات» (ص ٨٥).

والشيخ جاد قال: «زارني منذ مدة، قد يحضر الآن، وقد لا أراه حتى الموت!» (ص ٨٧)، فتراوح كلامه بين طرفين متباعدين، ويستلزم أن الظهور لا يُتحكم فيه، وأن الأمل قائم رغم ذلك.

أما الحاج ونس فقد استعمل إحالة غير معرّفة حين قال للراوي: «نعم، حاول صاحبي أن ينبّهك!» (ص ٩٠). فأخفى اسم «صاحبه»، وترك الراوي والقارئ يستنتجانه. وهذا الخرق يفسّر ما رآه الراوي في حلمه من «رشاش نافورة صاف ينهل على رأسي وجبيني دون انقطاع» (ص ٨٩)، وكيف أصبح رأسه مبتلًّا حقًّا، لأن الذي بلّله هو زعبلاوي، كما قال ونس بعد ذلك: «فراح يبلل رأسك بالماء لعلك تفيق!» (ص ٩٠).

الانسحاب من التعاون

فرّق غرايس بين خرق القاعدة خرقًا ظاهرًا، وهو ما يولد الاستلزام، وبين «الانسحاب» من مبدأ التعاون وقاعدته معًا، بأن يصرّح المتكلم بأنه لا يريد التعاون على الوجه المطلوب (Grice, 1975, ص ٤٩). وقد وُجد في القصة أربعة أقوال من هذا الصنف: قول للشيخ جاد وثلاثة للحاج ونس. ولم ندخلها في إحصاء الاستلزامات، لأن المتكلم يعلن فيها موقفه ولا يترك للسامع استنتاجه، لكنها تحمل مضمونًا يتصل بموضوع الرحلة، فنعرضها هنا على حدة.

فحين سأل الراوي الشيخ جاد: «وكيف يُشفى من المتاعب التي يعجز عنها البشر؟» أجابه: «هذا سره، ولعلك تظفر به عند اللقاء» (ص ٨٨). فصرّح بأن الجواب سر لا يُحدَّث به، وأن سبيل العلم به اللقاء، ويُفهم من ذلك أن هذه المعرفة معرفة تجربة لا معرفة خبر. وقد قبل الراوي هذا الجواب، إذ يقول بعده: «لكن متى يجيء اللقاء؟! ولذنا بالصمت» (ص ٨٨).

أما الحاج ونس فرفض أن يسمع سؤال الراوي قبل أن يسكر، وكرر ذلك في ثلاثة أقوال: «ولا كلمة حتى تفعل ما قلت»، و«هذا شأنك، وهذا شرطي!»، و«لن أصغي لك حتى تسكر!» (ص ٨٩). غير أنه لم يترك الراوي بلا تفسير، فقد بيّن سبب شرطه في قول عُدّ متعاونًا: «في مجلس كمجلسي هذا لا أسمح بأن يتصل بيني وبين أحد كلام، إن لم يكن سكران مثلي»، وإلا فقد المجلس لياقته وصعب فيه التفاهم (ص ٨٩). ويُفهم من ذلك أنه لا يرفض الحوار مطلقًا، وإنما يشترط له حالًا

مشتركة بين المتحاورين. وقد امتثل الراوي لهذا الشرط، فكان أثر الكؤوس كما وصفه: «فقدت إرادتي»، ثم «ضاعت ذاكرتي»، ثم «اختفى المستقبل» (ص ٨٩).

الأقوال المتعاونة

بلغت الأقوال المتعاونة عشرة، وكان معظمها يمدّ الراوي بخيط يوصله إلى المحطة التالية. ومن أمثلتها قول والد الراوي: «إنه ولي صادق من أولياء الله» (ص ٨٣)، وقول بائع الفول عن الشيخ قمر: «ترك الحي من عهد بعيد، ويُقال إنه يقيم اليوم بجاردن ستي» (ص ٨٣)، وقول الشيخ قمر: «مدى علمي أنه كان يقيم بربع البرجاوي بالأزهر» (ص ٨٤)، وقول الكواء: «اذهب إلى حسنين الخطاط بأم الغلام؛ فإنه كان صديقه» (ص ٨٥)، وقول الشيخ جاد في آخر لقائه: «سمعت أنه يتردد هذه الأيام على الحاج ونس الدمنهوري» (ص ٨٨). وكان ثلاثة من هذه الأقوال الخمسة مصحوبة بما يدل على حدود علم قائلها، مثل «يُقال» و«مدى علمي» و«سمعت أنه»، وهذا التزام صريح بقاعدة ألا يقول المتكلم ما ليس لديه عليه دليل كافٍ (Grice, 1975, ص ٤٦).

وجاءت أقوال متعاونة أخرى في كلام الحاج ونس بعد أن استيقظ الراوي، منها: «لا أدري أين هو الآن، كان هنا ثم ذهب»، و«العجيب أنه لا تغريه المغريات، ولكنه سيشفيك إذا قابلته!»، وجوابه عن سؤال الراوي: «بلا مقابل؟» بقوله: «بمجرد أن يشعر بأنك تُحبه!» (ص ٩٠). وهذا الأخير جواب متعاون، لكن يُفهم منه أن الثمن المطلوب حبّ لا مال، فيردّ عرض الراوي أن يعطيه «ما يريد من نقود». ولم نحصه بين الاستلزامات لأن الإحصاء مقصور على الأقوال الخارقة.

أنواع الاستلزامات الناتجة

جمعنا الاستلزامات المستخرجة من الأقوال الخارقة، وعددها اثنان وعشرون قولًا، في خمس فئات بحسب المعنى الضمني الغالب في كل قول، ويبيّنها الجدول (٤). وهذه الفئات يتداخل بعضها ببعض، وقد اخترنا لكل قول فئته الأبرز.

الجدول (٤): فئات الاستلزامات الناتجة عن الأقوال الخارقة

فئة الاستلزام	عدد الأقوال	أمثلة (الشخصية، الصفحة)
المعنى الرمزي والروحي (الولاية، والفن، والطرب، والحضور الخفي)	١٠	الشيخ جاد (صص ٨٧–٨٨)، عمّ حسنين (ص ٨٦)، الحاج ونس (ص ٩٠)
عدم العلم بمكان زعبلاوي	٤	بائع الكتب (ص ٨٤)، شيخ الحارة (ص ٨٥)، عمّ حسنين (ص ٨٦)، الشيخ جاد (ص ٨٧)
عدم انتظام ظهوره وتعذر ضبطه	٤	شيخ الحارة (ص ٨٥)، الشيخ جاد (ص ٨٧)، الحاج ونس (ص ٩٠)
التحفظ أو الإعراض عن الخوض في الأمر	٣	الشيخ قمر (ص ٨٤)، شيخ الحارة (ص ٨٥)
الاشتراط والتهيؤ للتلقي	١	الحاج ونس (ص ٨٨)
المجموع	**٢٢**	

المصدر: تصنيف الباحثة. اخترت لكل قول فئته الأبرز، ولا تدخل فيه الأقوال الأربعة المنسحبة.

وأكثر الفئات عددًا فئة المعنى الرمزي والروحي (١٠ أقوال)، مثل قول الشيخ جاد «هكذا الأولياء؛ وإلا ما كانوا أولياء!» وقوله «هذا العذاب من ضمن العلاج!»، ووصف عمّ حسنين لزعبلاوي بأنه «الرجل اللغز». وتليها فئتا عدم العلم بالمكان وعدم الانتظام بأربعة أقوال لكل منهما، ثم فئة التحفظ والإعراض بثلاثة أقوال، ثم فئة الاشتراط والتهيؤ للتلقي بقول واحد هو قول الحاج ونس «تفضل بالجلوس أولًا، واسكر ثانيًا!». ويبيّن هذا التوزيع أن الدلالة الرمزية والروحية أوسع الاستلزامات حضورًا. أما عدم العلم بالمكان فتلمّح إليه الشخصيات في الغالب بأسئلة بلاغية مثل «ولكن أين زعبلاوي اليوم؟!» ولا تصرّح به.

وأما الأقوال الأربعة المنسحبة فلم تدخل في الجدول، غير أن مضمونها يتصل بفئتين من فئاته: فقول الشيخ جاد «هذا سره، ولعلك تظفر به عند اللقاء» يتصل بالمعنى الرمزي والروحي، وأقوال الحاج ونس الثلاثة تتصل بالاشتراط والتهيؤ. ولذلك قلّت هذه الفئة الأخيرة بين الأقوال الخارقة، لأن الحاج ونس عبّر عن شرطه في الأغلب بالانسحاب الصريح لا بالخرق.

استجابة الراوي للاستلزامات

يشترط غرايس في الاستلزام أن يتوقع المتكلم من السامع قدرته على إدراكه (Grice, 1975, صص ٤٩–٥٠)، ولذلك يصلح سلوك الراوي دليلًا على أن الاستلزامات وصلت إليه. وقد ظهر ذلك في ردود فعله عند أكثر من محطة. فبعد أن سمع أقوال أصحاب الدكاكين قال: «لم أجد بدًّا من العودة إلى بيتي يائسًا» (ص ٨٥). وبعد أن أنهى الشيخ قمر الحديث غادر مكتبه وقد غلبه الخجل (ص ٨٤). وبعد أن تحدث عمّ حسنين عن اختفاء زعبلاوي، قال الراوي: «انطفأ الأمل كما ينطفئ المصباح بغتة لانقطاع التيار» (ص ٨٦). وحين ردّ عليه الشيخ جاد بقوله «الله يسامحك»، فهم أنه قال ما لا ينبغي، فقال: «فخجلت أيما خجل»، واعتذر قائلًا: «أخرجني شعور الخيبة عن حدود الأدب» (ص ٨٧). ولم يعترض على الشيخ حين رفض شرح سر الشفاء، بل «ولذنا بالصمت» (ص ٨٨). وعند الحاج ونس قبل الراوي الشرط بعد أن فهم أن الحديث مرهون به، فقال: «فتناولته في رضوخ وشربته» (ص ٨٩).

ويلاحظ أن الراوي لا يحتج على أي خرق بعد أن يفهمه، فالقاعدة العامة في القصة أن خرق الشخصيات لا يقطع الحوار ولا يدفع الراوي إلى اتهامها بعدم التعاون. ومع أن الاستلزامات تصل إليه، فإنه يعاود السؤال عند كل محطة، حتى تنتهي القصة بإصراره: «اقتنعت تماما بأن عليَّ أن أجد زعبلاوي!» (ص ٩١).

توزيع الأقوال على محطات الرحلة

يكشف الجدول (٢) عن أنماط تتصل بتتابع المحطات. فأقوال الشيخ قمر الخارقة قولان، وكلاهما من الكم، أي أنهما قاصران عن القدر المطلوب. وأقوال الكيف الأربعة كلها عند عمّ حسنين والشيخ جاد، أي عند الخطاط والموسيقار. ولم يظهر الانسحاب إلا في المحطتين الأخيرتين، قولٌ عند الشيخ جاد وثلاثة عند الحاج ونس. وبالنسبة إلى الحاج ونس نفسه، كانت أقواله الخمسة قبل أن يشرب الراوي: ثلاثة انسحابات وقولًا خارقًا للعلاقة وقولًا متعاونًا، أي أن واحدًا من خمسة متعاون. وبعد أن استيقظ الراوي كانت أقواله ثمانية، أربعة منها متعاونة (النصف). ويُفهم من ذلك أن شروط التعاون تغيّرت بعد أن امتثل الراوي لشرط الشراب، وإن بقيت أقوال خارقة تحمل ما لا يُصرَّح به.

المناقشة

لماذا غلب خرق قاعدة العلاقة؟

يبدو أن غلبة خرق قاعدة العلاقة تعود إلى بنية الرحلة نفسها. فالسؤال الذي يكرره الراوي في كل لقاء هو سؤال عن المكان، وقد عرف من شيخ الحارة أن زعبلاوي «لا مسكن له» (ص ٨٥). فإذا كان المكان غير موجود بالمعنى المألوف، لم يبق للمجيبين إلا أن يجيبوا بما يعرفونه عن زعبلاوي نفسه: ذكرى (بائع الكتب)، أو مدح (عمّ حسنين)، أو دعاء (الشيخ جاد)، أو نصيحة (شيخ الحارة)، أو شرط (الحاج ونس). وهو انتقال من سؤال «أين» إلى ما يشبه سؤال «من» و«ما»، ويستلزم أن السؤال عن المكان ليس هو السؤال الصائب. وهذا قريب مما ذكره ياسين وحرفوش (Yaseen & Harfosh, 2024) في خاتمة دراستهما، وهو أن الخروج على قاعدة العلاقة يعزز التفاعل في النص، لأن الكلام غير المناسب لغرض الحديث يدفع المحاور إلى البحث عن المضمرات. وفي القصة يصل الراوي إلى بعض المقاصد وحده، كما فعل حين أدرك أن «صاحب» ونس هو زعبلاوي.

ومع ذلك ينبغي ألا يُبالغ في هذه الغلبة. فالفرق بين العلاقة (٨ أقوال) والكم (٦ أقوال) قولان فقط، وبعض الأقوال حدّية في تصنيفها، مثل قول الشيخ جاد «الله يسامحك، أيقال هذا عن زيارة عرفتني بك وعرفتك بي؟!» الذي يمكن عدّه جوابًا عن شكوى الراوي فلا يكون خرقًا للعلاقة، وقول الحاج ونس «كان معي الليلة، وليلة أمس، وأول أمس...» الذي يمكن عدّه من الطريقة بدل الكم، وقد عدّ غرايس نفسه القاعدة الثانية من الكم موضع خلاف (Grice, 1975, ص ٤٦). فلو نُقل قولان فقط من العلاقة إلى غيرها لم يبقَ لها تقدم على الكم. فالنتيجة الأسلم أن العلاقة والكم يتقدمان على الكيف والطريقة في هذه القصة، وأن ترتيبهما فيما بينهما يحتاج إلى تحقق من مصنِّف ثانٍ.

ويوافق ذلك ما لاحظه جبار (Jabbar, 2022) في تحليله مسرحية «يحيي ويميت» من أن الحوار الواحد قد يجمع بين خرق قاعدتي الكم والكيف. فكلام شيخ الحارة جمع بين الطريقة والكيف، وكلام عمّ حسنين جمع بين الكم والطريقة والكيف والعلاقة في مراحل متتابعة. ولذلك فإن التصنيف بقاعدة رئيسة يبسّط الواقع النصي، وهو ما قصدنا أن نشير إليه في حدود التحليل.

من التهرب إلى الإشارة: دلالة الخرق في بناء الرحلة

لا يعني خرق القواعد في هذه القصة أن الشخصيات غير متعاونة. فعند غرايس لا يتخلى المتكلم الذي يخرق قاعدةً خرقًا ظاهرًا عن مبدأ التعاون، بل يُفترض أنه ما زال متعاونًا على مستوى ما يُستلزم (Grice, 1975, ص ٤٩). وهذا ما يدل عليه سلوك الراوي نفسه، فهو لا يحتج على الخرق بعد أن يفهمه، بل يسلّم به كما في قوله بعد جواب الشيخ جاد: «ولذنا بالصمت» (ص ٨٨)، وقوله بعد كلام عمّ حسنين «انطفأ الأمل كما ينطفئ المصباح بغتة لانقطاع التيار» (ص ٨٦). ويظهر في ذلك أن الاستلزامات تصل إلى الراوي، وإن كانت لا توصله إلى زعبلاوي.

ويلاحظ في الوقت نفسه أن نوع الخرق يتغير مع تقدم الرحلة. ففي المحطة الأولى، عند الشيخ قمر، يقل الكلام فقط، والشيخ قمر محامٍ شرعي يرتدي «البدلة العصرية ويدخن السيجار» (ص ٨٤) ويجلس في مكتب فخم. وعند الخطاط والموسيقار تظهر الاستعارة والمفارقة واليقين الذي لا دليل عليه، أي خرق الكيف، وعندهما أيضًا يتكرر الكلام عن الفن بوصفه أثر زعبلاوي. وهذا يتسق مع قراءة Pellegrino (٢٠٠٨) التي ترى أن الراوي ينتقل من القانون والتجارة والسياسة

إلى الفن والموسيقى، وأنه كلما اقترب من الفن اقترب من مسكن زعبلاوي الحقيقي، وأن الموسيقى هي الموضع الذي نعرف فيه عن الولي الغائب أكثر مما نعرفه في أي موضع آخر. ويمكن أن يقال تداوليًا إن اللغة تصير أكثر مجازًا واستعارة كلما اقتربنا مما لا يُعبَّر عنه تعبيرًا مباشرًا. ونحتاط هنا فنقول إن هذا التفسير قراءة ترجيحية لا نتيجة قاطعة، لأن عدد الأقوال في كل محطة قليل.

ويوافق قول الشيخ جاد «هذا العذاب من ضمن العلاج!» (ص ٨٧) ما رآه Sutanto وآخرون من أن البحث عن زعبلاوي يصير ألمًا وأملًا في آن واحد بالنسبة إلى الراوي (Sutanto et al., 2017, صص ٦٩–٧٠). فالاستلزام المستخرج من هذه العبارة المتناقضة في ظاهرها يطابق ما قرأته الدراسة السابقة في بنية القصة من جهة موضوعها.

وتؤيد دراسة Sutanto وآخرين (Sutanto et al., 2017) جانبًا آخر من هذه الصورة، إذ ترى أن شخصيات «العالم القديم» هي التي تقدم للراوي المعلومات المهمة عن مكان زعبلاوي (صص ٧٠–٧١). وفي جدولهم يُصنَّف الشيخ قمر من «العالم الجديد»، وبائع الفول والكواء والشيخ جاد من «القديم» (صص ٦٩–٧٠). وبياناتنا تتوافق مع ذلك في جانب منها، فأقل الأقوال دفئًا وإفادة قول الشيخ قمر، وأقوال الإرشاد جاءت من بائع الفول والكواء والشيخ جاد. غير أن الشيخ قمر نفسه دلّ الراوي على ربع البرجاوي، كما أن شيخ الحارة، وهو من «القديم والجديد معًا» في جدولهم، قدّم له خريطة، فلا ينبغي إطلاق هذا التقابل على نحو حاسم.

بنية السؤال والجواب في القصة

تقوم القصة، كما رأينا، على تكرار تبادل واحد: سؤال من الراوي وجواب من الشخصية. والجديد في بياناتنا أن هذا التكرار لا ينتج إجابات متشابهة، بل يتدرج الجواب من تهرب جاف عند الشيخ قمر، إلى تعجب وحنين عند بائع الكتب وعمّ حسنين، ثم دعاء وغناء عند الشيخ جاد، ثم شرط وحلم عند الحاج ونس. وبهذا يتحول التكرار الحواري إلى وسيلة لبناء الرحلة، إذ يكشف كل خرق حدود وسيلة من وسائل البحث، ويقرّب الراوي من وسيلة أخرى. ولا نزعم أن المؤلف قصد هذا البناء قصدًا، وإنما نصف ما تكشف عنه الأقوال المدوَّنة.

الحاج ونس وشرط السُّكر

يمثل الحاج ونس حالة خاصة، لأن أقواله الأولى انسحابات صريحة. وقد قرأ Pellegrino (٢٠٠٨) السُّكر في هذا المشهد قراءة صوفية، فرأى أن فقد الراوي لإرادته ثم ذاكرته ثم مستقبله يطابق درجات التطهر، وأنه يصير بذلك مهيأً لتلقي ما يُمنح له. ورأى Sutanto وآخرون (Sutanto et al., 2017) أن الموسيقى والخمر وسيلتان معروفتان عند الصوفية للدخول في الوحدة مع الإلهي (ص ٧١). وتضيف المقاربة التداولية إلى ذلك أن مبدأ التعاون عند غرايس يفترض غرضًا مشتركًا أو اتجاهًا متفقًا عليه للحديث (Grice, 1975, ص ٤٥)، وأن الحاج ونس يعيد تحديد هذا الغرض: فالحديث عنده لا يجري بين سائل ومجيب، وإنما بين شريكين في حال واحدة، ولذلك يقول إن المتحاور إن لم يكن سكران مثله «خلا المجلس من اللياقة وتعذر فيه التفاهم» (ص ٨٩). فالانسحاب الظاهر هو في الحقيقة إعادة تحديد لقواعد التواصل. ولهذا السبب لم نعدّ أقوال الانسحاب استلزامات حوارية، لأن الحاج ونس لا يترك الراوي يستنتج مقصده بل يعلنه، غير أن لهذه الأقوال وظيفة في بناء الرحلة لأنها تحدد الطريق إلى ما بعدها. وقد يرى باحث آخر أن يعدّها استلزامات، فتتغير الأرقام ولا يتغير الاتجاه العام. وهذا تفسير تأويلي منا، يقوم على نص القصة وعلى القراءتين السابقتين، وليس نتيجة إحصائية.

ومما يلفت النظر أن زعبلاوي يظهر في هذه المحطة حين لا يسأل الراوي: فهو الذي بلّل رأسه وهو نائم، ولم يعرف الراوي ذلك إلا بعد أن استيقظ. ويتصل هذا بما ذهب إليه Pellegrino من أن غاية ما يفعله الصوفي أن يجعل نفسه مهيأً لتلقي العطاء. ولا تنتهي القصة بلقاء، بل بإصرار الراوي في قوله «عليَّ أن أجد زعبلاوي!» (ص ٩١)، وهو ما يتفق مع ما رآه Sutanto وآخرون من أن المؤلف يشدد على الاحتفاظ بالأمل في البحث رغم تعذر الحل الفوري (صص ٦٩–٧٠). وهكذا تبقى الفجوة التداولية مفتوحة: الاستلزامات تصل، لكن زعبلاوي لا يصل.

المقارنة بالدراسات التداولية السابقة

تختلف هذه النتائج عن نتائج Nariyati وMunjiah (Nariyati & Munjiah, 2026) في المقابلات السياسية، إذ غلب عندهما خرق قاعدتي الكم والكيف، وفُسّر بوصفه استراتيجية بلاغية في الخطاب الإعلامي. ويبدو أن سبب الفرق اختلاف المقام، فالمتحدث السياسي يوسّع الكلام ويؤكده في خطاب إعلامي موجّه إلى الجمهور، أما شخصيات القصة فتمسك عن الكلام أو تحوّله إلى غيره لأن ما يُسأل عنه لا يُعطى بالإجابة المباشرة. لكن الدراستين تتفقان في أن الخرق لا يمثل انهيارًا للتواصل، بل أداة لإنتاج معنى، وفي أن تطبيق نظرية غرايس على العربية يحتاج إلى مراعاة سياق الخطاب.

وفي دراسة ياسين وحرفوش (Yaseen & Harfosh, 2024) يأتي خرق قاعدة الكم زيادةً على القدر المطلوب، وتصحبه أساليب حجاجية غايتها الإقناع. أما في «زعبلاوي» فأكثر الأقوال الخارقة للكم قاصرة عن المطلوب، ولا يزيد عليه إلا قول واحد هو قول الحاج ونس عن أيام حضور زعبلاوي. ويدل ذلك على أن شكل خرق الكم يتغير بتغير النص: ففي الرواية التي درساها يزيد الكلام على المطلوب، وفي القصة التي ندرسها ينقص عنه.

وتتفق النتائج كذلك مع جبار (Jabbar, 2022) الذي لاحظ أن في مسرحيات محفوظ نصوصًا حوارية كثيرة ينتهك أصحابها إحدى قواعد مبدأ التعاون، فيبدو أن الخرق ظاهرة متكررة في حواره لا استثناء فيه. ويمكن أن يضاف أن القارئ في «زعبلاوي»، مثل الراوي، يُطلب منه أن يملأ الفراغات التي يتركها هذا الخرق.

الإسهام العلمي

يتمثل الإسهام العلمي لهذه الدراسة في ثلاثة أمور. أولها تطبيق إطار غرايس على قصة «زعبلاوي»، وهي قصة لم نجد فيما اطلعنا عليه من الدراسات من حلّل حواراتها تداوليًا. وثانيها وضع معايير إجرائية لتصنيف الأقوال (في المنهج) وعرض نموذج لكل نوع منها بنصه وصفحته واستلزامه (الجدول ٣)، بحيث يمكن لباحث آخر أن يعيد التصنيف وأن يختبر مدى الاتفاق عليه. وثالثها ربط أنواع الاستلزام بمحطات الرحلة، بما يبيّن كيف يسهم الحوار في بناء القصة لا في نقل المعلومات فحسب. وهذه الإسهامات مقيّدة بحجم المدوّنة وبالتصنيف الفردي، كما بيّنا.

حدود الدراسة

تقتصر هذه الدراسة على قصة واحدة من تسع صفحات، وعلى قراءة باحثة واحدة، ولذلك لا تصلح أرقامها للتعميم، وقد بيّنا أن بعض الأقوال حدّية. ونوصي الدراسات المقبلة بأن يصنّف الأقوال مصنِّفان مستقلان ويُحسب اتفاقهما، وبأن تُدرس قصص أخرى لمحفوظ تقوم على الحوار المتكرر، وبأن يُقارن الخرق الحواري في النص العربي الأصلي بما يقابله في ترجماته. وقد قصرنا الاستلزامات على الأقوال الخارقة، فلو عُدّت الأقوال المنسحبة استلزامات لارتفع عددها إلى ستة وعشرين، وبقي المعنى الرمزي والروحي أكثر الفئات حضورًا.

الخاتمة

هدفت هذه الدراسة إلى تحديد أنواع خرق قواعد مبدأ التعاون في حوارات الراوي في قصة «زعبلاوي» لنجيب محفوظ، وإلى استخراج الاستلزامات الحوارية الناتجة عنه ودلالتها في بناء الرحلة. وقد دُوّن من حوارات الشخصيات التسع ستة وثلاثون قولًا، منها اثنان وعشرون قولًا خارقًا لإحدى قواعد مبدأ التعاون، وأربعة أقوال منسحبة من التعاون، وعشرة أقوال متعاونة. وجاء خرق قاعدة العلاقة أكثر الأنواع (٨ أقوال)، يليه خرق قاعدة الكم (٦ أقوال)، ثم خرق قاعدتي الكيف والطريقة (٤ أقوال لكل منهما)، مع التنبيه إلى أن الفارق بين الأولين صغير وأن ترتيبهما يحتاج إلى تحقق من مصنِّف ثانٍ.

وتدور الاستلزامات الناتجة عن هذه الأقوال حول أن زعبلاوي لا يُعرف له مكان ثابت، وأن لقاءه لا يخضع لموعد ولا لمنهج، وأن معرفته معرفة تجربة لا معرفة خبر. وهي بذلك لا تعطّل رحلة البحث، وإنما تبنيها: فهي تنقل الراوي من سؤال المكان إلى ما هو أبعد منه، وتهيّئه للقاء الأخير في حانة النجمة الذي لا يقع فيه لقاء مباشر. وقد تبيّن أن أكثر الاستلزامات حضورًا ما يتصل بالمعنى الرمزي والروحي (١٠ من ٢٢ قولًا خارقًا)، ثم عدم العلم بالمكان وعدم انتظام الظهور بأربعة أقوال لكل منهما، ثم التحفظ والإعراض بثلاثة أقوال. وتظهر في توزيع الأقوال على المحطات أنماط مثيرة للانتباه، منها أن خرق قاعدة الكيف جاء كله عند الخطاط والموسيقار، وأن الانسحاب لم يظهر إلا في المحطتين الأخيرتين.

وتتمثل جدّة الدراسة في تطبيق نظرية غرايس على قصة قصيرة بنيتها حوارية متكررة، وفي الربط بين الاستلزام الحواري وقراءة القصة بوصفها رحلة روحية. ومن حدودها أنها قصيرة النص وقائمة على تصنيف باحثة واحدة، ولذلك توصي الدراسة بدراسات تقارن بين قصص أخرى لمحفوظ وتستعين بمصنِّفين مستقلين.

المراجع

Grice, H. P. (1975). Logic and conversation. In P. Cole & J. L. Morgan (Eds.), *Syntax and semantics: Vol. 3. Speech acts* (pp. 41–58). Academic Press.

Jabbar, R. M. (2022). الاستلزام الحواري في مسرحيات نجيب محفوظ: مقاربة غرايسية [Dialogue implication in Naguib Mahfouz's plays: A Gricean approach]. *Thi Qar Arts Journal, 37*(1), 204–240. https://jart.utq.edu.iq/index.php/main/article/download/301/354/893

Mahfouz, N. (2023). *دنيا الله* [God's world]. Hindawi. (Original work published 1963)

Nariyati, D. A. S., & Munjiah, M. (2026). Pragmatic amplification and rhetorical patterning in Arabic political interview discourse. *Alibbaa': Jurnal Pendidikan Bahasa Arab, 7*(1), 418–439. https://doi.org/10.19105/ajpba.v7i1.23880

Pellegrino, J. (2008). Using mysticism to teach "Zaabalawi." *Eureka Studies in Teaching Short Fiction, 8*(2), 106–114. https://jpellegrino.com/scholarship/ZaabalawiandMysticism.pdf

Sutanto, D. N., Mendrofa, M. P., & Apriyanti, T. (2017). The pursuit of existential meaning and social justice in Naguib Mahfouz's three short stories: "Zaabalawi", "A day for saying goodbye", and "The answer is no." *Indonesian Journal of English Language Studies, 3*(2), 66–76. https://doi.org/10.24071/ijels.v3i2.1066

Yaseen, M., & Harfosh, M. (2024). الاستلزام الحواري في «الرواية المستحيلة» لغادة السمان: مقاربة تداولية في مضمرات القول [The dialogue in the "Impossible Novel" by Ghadah Al-Samman: Pragmatics approach in the implicit meaning]. *مجلة جامعة الفرات – سلسلة العلوم الأساسية*, (61). https://journal.alfuratuniv.edu.sy/downloads/files/1759042195_61-2.pdf